توجيه اختيارات الكسائي (ت: 189هـ) النحوية والصرفية في تفسير القرطبي (ت: 671هـ)

Guiding the Grammatical and Morphological Choices of Al-Kasa'i (d. 189 AH) in Tafsir Al-Qurtubi (d. 671 AH)

م.د. ساره عباس فرج

Lect. Dr. Sarah Abbas Farag

جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية

University of Samarra / College of Islamic Sciences

E-mail: sarah.3bas@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الكسائي، الاختيارات النحوية، الاختيارات الصرفية، الدلالات المختلفة، تفسير القرطبي.

Keywords: Al-Kasa'i, grammatical choices, morphological choices, different connotations, interpretation of Al-Qurtubi.

الملخص

تعدُّ آراء الإمام الكسائي النحوية والصرفية والدلالية عمدة المدرسة الكوفية وقوامها، وهذه دراسة استخرجت فيها بعضا من آراء الكسائي (ت: 189هـ)، وقمت بجمعها من تفسير الإمام القرطبي (ت: 671هـ) وعملت على عرضها بالآراء والقراءات الأخرى والترجيح بينها، بالإضافة لبعض من استدراكات الإمام الكسائي (ت: 189هـ)، على علماء عصره ومن سبقه من أهل اللغة، بالإضافة لذلك أهمية هذه القراءة من ناحية الدلالة القرآنية وبيان تلك المعاني المختلفة، وتأثير المعاني القرآنية بالصيغ النحوية والصرفية المختلفة، فكان علماء النحو والصرف قديما يضعون القراءة القرآنية اول مواضع الاهتمام، فلا يمكن أن يعرضوا لمسألة من المسائل النحوية دون الاستشهاد بإحدى تلك القراءات، والإمام الكسائي (ت: 189هـ)، أحد أهم أعلام النحو والصرف والقراءات على مر التاريخ، فكانت تلك الدراسة تنصب على آراء هذا العلم الكبير لما لها من أهمية كبرى.

Abstract

The opinions of the advanced readers and grammarians are considered a beacon that illuminates those who came after them. Therefore, the subject of this research was "the proof and argument for the reading of Al-Kasa'i in Al-Qurtubi's interpretation, in order to study and discuss Al-Kasa'i's approach, and to extract those valuable grammatical opinions from Al-Qurtubi's interpretation, And presenting it to other opinions, and weighting between them, and presenting the reading of Al-Kasa'i and its correction to the scholars of his time and his predecessors, in order to demonstrate that great grammatical, morphological and semantic value, and that great effort that he made, so the research revolves around the orbit of a great scholar; An imam in readings, grammar and morphology. The importance of this study is evident through its presentation of a very important idea, which is represented by its presentation of the impact of Al-Kasai's reading in terms of grammar, morphology and semantics, and its impact on the Qur'anic significance, and the statement of those different meanings for each aspect.

المقدمة:

تُعدُّ دراسة مناهج العلماء وآراءهم، واستدراك بعضهم على بعضٍ، لونًا من الدِّراسات القيمة؛ لا سيما في باب القراءات والاحتجاج لها؛ لِمَا تتضمّنه من آراءٍ وحجاج؛ وتعد آراء المتقدمين من أصحاب القراءات والنحاة نبراسا ينير الدرب لمن جاء بعدهم الدّرب؛ لذا كان موضوع هذا البحث " توجيه اختيارات الكسائي النحوية والصرفية في تفسير القرطبي " وذلك لدراسة ومناقشة منهج الكسائي، واستخراج تلك الآراء النحوية القيمة من تفسير القرطبي، وعرضها على الآراء الأخرى، والتَّرجيح بينهما، وعرض قراءة الكسائيّ واستدراكه على العلماء من أهل عصره وسابقيه، وذلك لبيان تلك القيمة النحوية والصرفية والدلالية الكبيرة، وذلك الجهد الكبير الذي بذله، فالبحث يدور في فلك عالِم جليل؛ إمام في القراءات والنّحو والصّرف، وتجلو أهمية هذه الدراسة من خلال طرحها لفكرة مهمة للغاية، والتي تتمثل في عرضها لأثر قراءة الكسائي من الناحية النحوية والصرفية والدلالية وأثرها على الدلالة القرآنية، وعرضها لأهمية قراءة الكسائي في النحو والصرف والدلالة وتأثيرها على الدلالات القرآنية في تفسير القرطبي.

ولقد اهتم النحاة العرب بفكرة الاحتجاج للقراءات القرآنية وأقاموا أبواب النحو والصرف والدلالة وغيرها ونظريات الإعراب المختلفة على اختلاف القُراء، كما تكمن تلك الأهمية الكبرى في أثر تلك الخلافات والاحتجاج للقراءة على المعنى وما له من تبعات على النظريات النحوية المؤثرة في الإعراب وأثرها في المعنى، وكل ذلك من خلال جمع ودراسة صور الاحتجاج لقراءة الكسائي النحوية والصرفية والدلالية في تفسير القرطبي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة قراءة الكسائي من الناحية النحوية والصرفية والدلالية، ولا شك أن قراءة هذا الإمام الكبير هي من البذور الأولى لهذه العلوم المهمة، وتهدف هذه الدراسة للوقوف على تلك الاحتجاجات التي أطال الباع فيها الإمام القرطبي في تفسيره، ودراسة تأثيرها على الدلالات القرآنية، وبيان تلك المعاني المختلفة لكل وجه من أوجه القراءات.

إشكاليات الدراسة:

وتتلخص هذه الإشكاليات في عدة نقاط وهي:

أولا: الدلالات اللغوية المتعددة والمتقاربة لا سيما في قراءة الكسائي.

ثانيا: الترجيح والاحتجاج وماهية الدلالة النحوية والصرفية في الاستشهاد لقراءة الكسائي.

ثالثا: توجيه الرفع والنصب والجر وسببه، والاحتجاج والاستشهاد لكل قراءة منها.

رابعا: تعلق الآراء الصرفية النحوية في قراءة الكسائي والتي يجب أن يكون المرء ملمًا بقواعدها قبل البدء في الدرس النحوي لها.

خامسا: الاحتجاج للدلالات المختلفة وتوجيه كل دلالة منها على اختلاف البنى الصرفية والتكوينات والمعاني النحوية.

تساؤلات البحث:

أولا: ما هو المعنى التوجيه عند القرطبي لقراءة الكسائي؟

ثانيا: ما الفرق بين المعنى النحوي والصرفي في قراءة الكسائي، وما طرق الاحتجاج له عند القرطبي؟

ثالثا: ما مدى تأثير الاختلاف النحوي والصرفي على الدلالات والقراءات القرآنية عند الكسائي من خلال احتجاجات وتوجيهات القرطبي؟

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على منهجين مهمين وهما:

المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع موطن الشاهد للقراءة وموطن الاحتجاج له عند القرطبي.

المنهج التحليل: وذلك بتحليل ما ورد من احتجاجات لقراءة الكسائي من الناحية النحوية والصرفية والدلالية.

هيكلية البحث:

المقدمة وتشتمل على التعريف بالموضوع وأهميته وإشكاليته والمنهج المتبع، ثم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحتجاج من الناحية النحوية

المبحث الثاني: الاحتجاج من الناحية الصرفية

المبحث الثالث: الاحتجاج من الناحية الدلالية

الخاتمة وتشتمل على النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الاحتجاج من الناحية النحوية

تعدُّ الناحية النحوية من أهم النواحي التي تمثل الاحتجاج للقراءات، فالاختلاف في القراءات أصله إما نحويّ وإما وصرفيّ في المقام الأول، فتختلف الكلمات إعرابًا، أو بنية، ليتخلف معناها السياقي أو معناها المعجمي، لتؤدي وظيفة داخل قراءة الإمام.

ذكر القرطبي مناحي الاحتجاج لقراءة الكسائي من الناحية النحوية على أوجه كثيرة، في مواضع مختلفة في تفسيره، ومن ذلك:

المسألة الأولى: "نصب لفظة بعوضة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة: 26].

فقد بيَّنَ القرطبي في وجوه نصب لفظة بعوضة: أنَّ الكسائي نصبها على تقدير إسقاط الجار، وهو ما يسميه النحاة بنزع الخافض، ويكون المعنى على ذلك التقدير "أن يضرب مثلا ما بين بعوضة، فحذفت" بين" وأعربت لفظة بعوضة إعرابها، وهو ما ذهب إليه الكسائي وتبعه في ذلك الفراء (ت: 207) واحتج القرطبي لما ذهب إليه الكسائي بما أنشده أبو العباس[1]:

يا أحسن الناس ما قرنا إلى قدم * ولا حبال محب واصل تصل**

والمعنى عنده ما بين قرن، فلما حذفت لفظة "بين" نصب [2].

فبعوضة على هذا القول نصبت لحذف المفعول فيه "بين"، واستشهد على ذلك بنصب (قرنًا) في البيت[3].

وقد بيَّنَ أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) أنه قد وضع بعوضة موضع المحذوف (بين) لأنها مرادة وهو بمنزلة قولهم: "له عشرون ما ناقة فجملا" فيكون المراد ما بين ناقة وبعير[4].

وذكر المفسرون والنحاة في توجيه نصب (بعوضة) ثلاثة وجوه أخرى هي:

1- أنها منصوبة بفعل محذوف، تقديره: أعني بعوضة.

2- أنها عطف بيان لـ"مثلًا".

3- أنها مفعول لـ"يضرب"، و"مثلًا" حال تقدمت عليها[5].

المسألة الثانية: توجيه الرفع في لفظة "فواحدة" في قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء: 3].

ذهب القرطبي في قراءة لفظة (فواحدة): إلى توجيه قراءة الرفع عند الكسائي بأن يكون الرفع على الابتداء مع إضمار الخبر، ويكون الواحدة "فواحدة تكفي أو تقنع" وهو توجيه الرفع عند الكسائي بخلاف قراءة النصب على إضمار فعل ناصب لها[6].

وعزا النحاس قراءة «فواحدة» بالرفع، إلى الأعرج[7].

وتقنع من القناعة، أي: الرِضا بالقَسْمِ[8].

المسألة الثالثة: نصب وجر لفظة "الكفار" قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: 57].

ذهب القرطبي إلى أنه ثمة قراءتين في لفظة الكفار ههنا، وبين أن أبا عمرو (ت: 154هـ) والكسائي في إحدى الروايتين قد قرأ بالخفض، وجوز النصب على أن من التي عطف عليها لبيان الجنس فيكون النصب أوضح [9].

فقراءة الكسائي بالجر عطفًا على مجرور (من)، فيدخل الكفار في الوصف السابق وهو قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا ﴾ وعلى قراءة النصب عند الكسائي أيضا هي عطف على مفعول «اتخذوا»، فهي معطوفة على هذا الوصف[10].

المسألة الرابعة: توجيه النصب في لفظة "بينكم" في قوله تعالى:﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾{ [الأنعام: 94].

وجه القرطبي القراءة بالنصب عند نافع والكسائي وحفص على الظرفية، على أن يكون المعنى "لقد تقطع وصلكم بينكم"

فيحسن إضمار لفظ الوصل بعد" تقطع" لدلالة السياق عليه، وفي قراءة عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) دلالة على النصب واضحة حيث قرأ (لقد تقطع ما بينَكم) فذهب القرطبي تبعا للكسائي أنه لا يجوز فيه إلا النصب [11].

فقراءة الكسائي ومن وافقه بالنصب على حذف الفاعل فيكون التقدير: "تقطع الوصل بينكم" [12]، وقد وجّه قراءة الآخرين في الرفع على الفعلية وقراءة الآخرين بالرفع على أنها فاعل[13].

ولم يكن القرطبي متابعًا للكسائي دائمًا، فأحيانًا قد يخرج عن الاحتجاج له فيضعف قوله.

المسألة الخامسة: نصب لفظة "سبحانك" في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 32]

بيَّنَ القرطبي وجه النصب في لفظ {سبحانك} أنه منصوب على أنه نداء مضاف عند الكسائي فقد حكاه القرطبي ولم يحتج له لبيان ضعف التأويل عنده [14] وعند الجمهور هو منصوب على المصدر عند الخليل (ت: 170هـ)، وسيبويه (ت: 180هـ)، يؤدي عن معنى نسبحك تسبيحًا، وضُعِّف قول الكسائي بأن "سبحان" لم يسمع دخول حرف النداء عليه[15].

المسألة السادسة: توجيه القراء في لفظة "هدى ورحمة" في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 52]

بين القرطبي أن في اللفظتين «(هدى ورحمة) وجهين، وبيّن أن الكسائي قد أجاز فيها وجها ثالثًا، وهو الخفض، واختاره الفراء، على أنه نعت لكتاب[16].

فتوجيه الكسائي على فرض أنه لو قرئ به، والقراءة المتواترة بالفتح [17]، وعزا أبو حيان (ت: 745هـ)، قراءة الخفض لزيد بن علي، وذكر قراءة الرفع بدون عزو[18].

فتجرى الوجوه الثلاثة رفعًا ونصبًا وخفضًا، فالخفض على تخريج الكسائي والفراء نعت للكتاب وقيل: بدل.

وقراءة الرفع على الاستئناف، أي: هو هدى ورحمة.

وقراءة النصب على الحال، وقيل: مفعول له[19].

وقد تبين أن القرطبي ضعف قراءة الكسائي ولم يرجحها ولم يحتج لها.

المبحث الثاني: الاحتجاج من الناحية الصرفية

لقد كثرت التوجيهات الصرفية في تفسير القرطبي لقراءة الكسائي، وذلك لأهمية علم الصرف في التأثير على اختلاف القراءات.

المسألة الأولى: توجيه وزن الفعل (تُسَوَّى): في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 42].

وقد ذكر القرطبي أن القُراء اختلفوا في وزن الفعل على أوجه وهي:

الوجه الاول: (تَسَّوّى) وبه قرأ نافع وابن عامر، والأصل تُتَسَوَّى أبدلت التاء سينا وأدغمت.

الوجه الثاني: (تَسَوّى) بتخفيف السين وبه قرأ حمزة.

الوجه الثالث: (تُسَوّى) وبه قرأ الباقون ضموا التاء وخففوا السين [20].

وقراءة الكسائي (تّسَوَّى) أصلها تتسوى بتاءين، فحذفت إحدى التاؤين تخفيفًا، فهي في المعنى موافقة لقراءة (تَسَوَّى) على البناء للفاعل[21].

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ [النساء: 24].

وقد ذكر القرطبي عدة أوجه في وزن الفعل أحل، ومنها:

أولا: قراءة الكسائي وحمزة (ت: 188هـ) وعاصم في رواية حفص (ت: 180هـ) (وَأُحِلَّ لَكُمْ) بالبناء للمجهول

ثانيا: (أَحَلَّ لَكُمْ) ردا على قوله تعالى: (كتاب الله عليكم) [22].

فقرأ الكسائي ومن وافقه «أُحِلَ» بالمبني للمجهول موفقًا لـ:«حُرِّم» في الآية السابقة[23]، أي حُرمّ عليكم ما ذُكِرَ، وأحل لكم ما وراءه. وقرئت «أَحَلَّ»، أي كتب الله ذلك عليكم وأحلّ لكم[24]، وهي قراءة ابن كثير (ت: 120هـ) ونافع (ت: 169) وأبي عمرو وابن عامر(ت: 118)[25].

وتعقَّب القرطبي على قراءة البناء للفاعل بالرفض وترجيح قراءة الكسائي وهو ترجيح أبي علي الفارسي (ت:377هـ) [26].

المسألة الثالثة: توجيه قراءة (لا تَحْسَبَنَّ) بالتاء فأجازها الكسائي والفراء على معنى التكرير ويكون التقدير "ولا تحسبن الذين كفروا، ولا تحسبن أنما نملي لهم خيرا"[27].

أما قراءة الكسائي فهي: كقراءة الجمهور "ولا يحسبن" والقراءة بتاء الخطاب انفرد بها حمزة، والمخاطب نبينا «محمد» صلّى الله عليه وسلّم[28].

وظاهر الأمر أنَّ الخلاف هنا صرفي، حيث اختلفوا في كون الفعل "تَحْسَبَنَّ" أو "يَحْسَبَنَّ" وقراءة الكسائي هنا باتصال الفعل بياء الغائب، أم قراءة حمزة فهي باتصاله بتاء المخاطب، فيكون وزن الفعل على قراءة الكسائي "يَفْعَلَنَّ"، واختلفوا في تقدير المفعول إن كانت بالتاء، فيكون التقدير، ولا تحسبن أنما نملي لهم خير[29].

وعند البصريين لا يجوز فيمن قرأ (تَحْسَبَنَّ) إلا كسر همزة (إن)، والمعنى: لا تحسبن الذين كفروا، إملاؤُنا خير لهم ودخلت أن مؤكدة، وإذاُ فتحت همزة (أن) صار المعنى ولا تحسبن الذين كفروا إملائنا، فلا يستقيم[30]، وبهذا التوجيه من حمزة والكسائي يظهر خطأ من ضَعَّف هذه القراءة، وقد رد القرطبي على من رفضها بقول الكسائي والفراء بالاحتجاج لصحتها، أما القراءة التي اختارها الكسائي فهي "ولا يحسبن" [31].

المسألة الرابعة: توجيه وزن لفظة "لِمَهْلِكِهِم" في قوله تعالى: ((وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)) وبين القرطبي أن قراءة الكسائي فيها هي "لِمَهْلِكِهِمْ" بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْمِيمِ، وصرح الكسائي بأنه أحب إليه من القراءة الأخرى [32] .

وهنا جعل الكسائي لمهلكهم بكسر اللام حملًا لها على موعد الهلاك فهي اسم زمان، وذهب الزجاج إلى أن لها تأويلين:

التأويل الأول: المصدرية وهي في هذه الحالة الأجود فيها فتح اللام، وتكون بمعنى جعلنا لإهلاكهم موعدًا، ويكون الوزن "مَفْعِل"

التأويل الثاني: مَهْلِك بالكسر على وزن "مَفْعِل" أنها اسم زمان، ويكون التأويل جعلنا الوقت لوقت هلاكهم موعدًا، وعلى هذا يستساغ الكسر [33] .

المسألة الخامسة: توجيه قراءة الكسائي في وزن الفعل "لتكملوا" في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: 175).

ففي قوله: (ولتُكْمِلُوا) قد حكى القرطبي عن الكثير من القراء التشديد فقال القرطبي: وَلِتُكَمِّلُوا" وبين القرطبي أن قراءة الكسائي هي التخفيف [34].

والذي يتبين أن اللام في الآية السابقة في ظاهر قول الكسائي هي لام الأمر والفعل مخفف غير مشدد[35].

المبحث الثالث: الاحتجاج من الناحية الدلالية

تعود أكثر الخلافات النحوية والصرفية بفارق مهم في القراءات وهو الفارق الدلالي، وتعدُّ الدلالـة هـي أصـل اخـتلاف القراءات، فكـل اخـتلاف نحـوي أو صـرفي لابـد أن يعقبـه اخـتلاف دلالي، فكما اتفق النحاة أنَّ كل تغير في المبنى يؤدى إلى تغير في المعنى، فالدلالة هي أصل اختلاف القراءات جميعًا.

المسألة الأولى: ذكر وجه التذكير والتأنيث على المعنى في لفظ الظلمات في قوله تعالى: {أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: 16]، ذكر القرطبي أن قراءة الكسائي هي (يَسْتَوِي) بالياء، ومعـه ابـن محيصـن (ت: 123هـ) وحمـزة[36] ووجـه ذلـك بـأن التأنيـث فـي لفـظ الظلمـات لـيس بحقيقي [37].

وقـرأ البـاقون بالتـاء (تَسْـتَوِي)، ووجـه تلـك القـراءة بأنـه لـيس ثمـة فاصـل بـين الفاعـل والفعل[38].

وكـلا الوجهين جائز فـي اللغة، فإذا كـان الفاعل غير عاقل جاز فيه التذكير والتأنيث، ومثل فـي القرآن قولـه تعـالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: 67]، مـع قولـه فـي موضـع آخـر: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ [هود: 94]، فأنـث الفعـل فـي موضع وذُكِّر في موضع آخر لأن الفاعل غير عاقل، فكل قراءة من القراءتين لها وجه[39].

وذكر القرطبي في توجيه قراءة الكسائي وجهين:

الأول: أن الجملة على الترتيب الطبيعي، فلو تقدمت الظلمات وأسند الفعل إلى الضمير لوجب التأنيث.

الثاني: أن لفظ الظلمات مؤنث غير حقيقي وذلك لأمرين:

الأول: أنها جمع، وتأنيث الجمع مجازي غير حقيقي[40].

الثاني: أن مفردها (ظلمة) وهو مؤنث مجازي غير حقيقي مثل (صيحة، والشمس)[41].

المسألة الثانية: معنى لفظة قيمًا في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾ [الكهف: 1، 2]

ذهب القرطبي إلى أن قول الكسائي في المسألة هنا أنه ثمة تقديم والمعنى عنده: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا" وإليه ذهب الأخفش (ت: 215هـ) والفراء وأبو عبيد (ت: 209) [42].

ووجه كلام الكسائي ومن وافقه أن «قيمًا» بمعنى مستقيمًا، أي: إن الله تعالى أنزل القرآن مستقيمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً أي لم ينزله مخالفاً للتوراة والإنجيل[43].

ونسب القرطبي هذا القول لجمهور المفسرين، وحكاه بعضهم إجماعًا [44]، وهو ظاهر في الطبري (ت: 310) [45].

وذكر النحاس (ت: 338هـ)، في القطع والائتلاف، أن هذا التوجيه للآية إنما هو من قبيل التفسير، أما من ناحية الوقف والابتداء فإن الآية بعدها متعلقة بـ«قيمًا» لمجيء لام كي بعدها، وهذا وجه التقديم والتأخير في الآية لتتصل (قيما) بما يتعلق بها[46].

المسألة الثالثة: أن الأحرف المقطعة في أوائل السور عند الكسائي أسماء، ويعربها مبتدأ، وبين القرطبي في قوله تعالى: (المص) أن موضعه عند الكسائي رفع بالابتداء. و" كتاب" خبره. والمعنى عند الكسائي كأنه قيل: هذا كتاب [47].

وحاصل الأمر أن الكسائي هنا ذهب إلى أن الأحرف المتقطعة في أول السور تعرب مبتدأ وما بعدها الخبر، ولتحرير المسألة لابد من الوقوف أولًا على معاني الأحرف المقطعة في أوائل السور للوقوف على موقعها الإعرابي، فقد انقسم العلماء حيالها على قسمين[48] :

القسم الأول: وينسب لجماعة من التابعين أنها ((هي سرّ الله في القرآن)) [49].

وبهذا القول قال: الشعبي عامر بن شراحيل (ت: 100)، وسفيان الثوري (ت: 161)، وجماعة من المحدثين، وعلى هذا القول لا يمكن الخوض في إعراب ولا معنى لها لكون الله سبحانه وتعالى انفرد بعلمها[50].

القول الثاني: ونسبه ابن عطية للجمهور: بقولهم: «بل يجب أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها» واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولًا:

القول الأول: «الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها»، وهو منسوب إلى علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما، ونسب لابن عباس عدة أقوال في المسألة هذا قول منها، وعلى هذا القول فهي ليس لها موقع إعرابي؛ وذلك لكونها قد خفي تأليفها، وهذا القول أشبه بالقائلين بأنها ليس لها معنى معلوم للبشر [51].

القول الثاني: أنها أسماء أقسم الله بها، ونسب إلى ابن عباس أيضًا، وعلى هذا القول يتجه الإعراب هنا لموقعين:

الموقع الأول: النصب على أنها مفعول به لفعل محذوف كما تقول والله لأفعلن، والناصب فعل محذوف، والتقدير: التزمت الله، أو اليمين به.

الموقع الثاني: يجوز أيضًا على هذا القول أن تكون محلها الجر على القسم، وحرف الجر محذوف وبقي عمله بعد الحذف، لأنه مراد، فهو كالملفوظ به، وتقدير الكلام على هذا : أقسم أو أحلف ب(الم).

القول الثالث: أنها أسماء للسور، وبه قال زيد بن أسلم (ت: 136هـ)، وعلى هذا جاز فيها وجهان من الإعراب، الوجه الأول : أن محلها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير هذه الم.

الوجه الثاني: أنها مبتدأ وخبرها ما بعدها، ولا يمنع من كلا الوجهين شيء على تقدير كونها أسماء، ولكن إن قدر كونها اسم فما المعنى حينئذ وهو قول الكسائي كما أسلفت وتبعه جماعة[52].

القول الخامس: أنها فواتح للسور، وبه قال مجاهد (ت: 104هـ)، والقول هنا ملغز، حيث إن هذه الفواتح يصح أن تقدر أنها أسماء، ويصح تقديرها أنها حروف مقطعة، وعلى تقدير كونها حروف مقطعة لم تقع موقعًا إعرابيًّا، وعلى تقدير كونها أسماء فيقال فيها بالوجهين بالأوجه السابقة كلها [53].

القول السادس: أنها حروف تقع في صدر الكلام كأنها حروف تنبيه، كما يقولون في أول الإنشاد لشهير القصائد: «بل» و «لا بل» قاله القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه، وإليه ذهب أبو عبيدة والأخفش[54].

وأقرب الأقوال إلى الصواب أنَّها حروف تنبيه لا محل لهما من الإعراب، وهذا والله أعلم هو أصح الأقوال، وهو قول سيبويه[55]. وإليه ذهب الأخفش وأبو عبيدة كما بينت سابقا[56]. وهو ظاهر كلام المبرد (ت: 285هـ) [57]، وابن السراج (ت: 316) [58]، وهو محكي عن الشلوبين (ت: 645هـ) [59] وجوزه السيوطي (ت: 911) [60].

والذي ذهب إليه الكسائي أنها في معنى الاسم وتقدير كونها مبتدأ وتدل على الإشارة مستبعد، وذلك لكون المبتدأ معرفة، والخبر ومُخبِر عنه، ولا إسناد هنا لعدم ظهور طرفي الإسناد فيها، واستبعاد الخبرية لعدم تعلقها بمبتدأ تظهر معناه أو تحكي عنه في الجملة.

المسألة الرابعة: توجيه معنى قراءة النصب وسببه في لفظة "المقيمين" في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 162).

بيَّن القرطبي أن رأي الكسائي أن لفظ "الْمُقِيمِينَ". معطوف على المحل في "بِما"[61] .

وذهب الكسائي في رأيه السابق إلى أن المقيمين منصوب بالعطف على محل بما وهو في محل نصب مفعول به؛ لأن الفعل لازم قبله، وقد اختلف فيها المفسرون فذهب البعض إلى أنها عطف نسق على "ما" وهي في موضع الجر [62].

وذهب أبو جعفر في أحد أقواله إلى أنها منصوبة على المدح، أي بإضمار فعل [63].

وكلا القولين جائز من ناحية الدلالة والسياق.

فتكون دلالة الآية على التأويلات السابقة:

أولا: النصب على المدح: أمدح المقيمين الصلاة.

ثانيا: رأي الكسائي: أن المعنى " يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ" فتكون في محل عطف على "بما" فيكون معناها يؤمنون بما أنزل إليك ويؤمنون بالمقيمين الصلاة.

الخاتمة:

في ختام هذا العمل أسأل الله أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأسأله سبحانه وتعالى أن ينال القبول وأن يجعله في ميزان حسناتي وأن ينفعني به في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

النتائج:

لقد توصلت إلى بعض النتائج وهي تتلخص في الآتي:

أولا: جاءت دلالات المعاني النحوية في قراءة الكسائي متنوعة، منها ما هو باللفظ ومنها ما هو بالمعنى، وقد احتج القرطبي في تفسيره لأكثر الآراء النحوية المهمة للكسائي ولم يحد عن أقواله وقراءته إلا في مواطن قليلة من الناحية النحوية، وكان يورد الشواهد والأدلة على قوة قراءته.

ثانيًا: جاءت قراءة الكسائي متزنة معتدلة وأثرت على المعنى النحوي والصرفي بشكل كبير، وكان الكسائي في آرائه معتدلًا يتبع الدليل أينما وجد، ولا يتعصب لمذهب ولا لقول شخص.

ثالثًا: سلك الكسائي في مسلك اختلاف الدلالات أحد المسالك في توجيه الدلالة من ناحية الصرف والنحو، فكان يبرز أوجه الخلاف من خلال توجيه المعنى الصرفي والنحوي.

رابعًا: جاءت الدلالات في قراءة الكسائي كلها مبنية على أبواب النحو والصرف القياسية، ولم يخرج الكسائي عن المتعارف على جوازه بين النحاة، ولم يخالف الجمهور إلا في بعض المسائل القليلة، وقد نظر فيها لبعض الأدلة التي خالف فيها الجمهور ولكن هذا نادر قليل.

خامسا: كانت آراء الكسائي شديدة الدقة فيما يخص الدلالات وغيرها لاسيما الحديث عن أثر الفعل وأوزانه.

الهوامش والمصادر:

(1) البيت من البسيط، وهو لبعض بني سليم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ت 328هـ، دار المعارف سلسلة ذخائر العرب، الطبعة: الخامسة، ص: 20.

(2) ينظر: لجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م: 1/ 243.

(3) ينظر: الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المتوفى: 170هـ، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة: الخامسة، 1416هـ 1995م: ص121، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام المتوفى: 761هـ، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، 198: ص215.

(4) إيضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري المتوفى: 328هـ، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: 1390هـ – 1971م: 1/ 353، 354.

(5) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي المتوفى: نحو 1100هـ، المحقق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، مصر، عام النشر: 2008م: 66/1.

(6) القرطبي، التفسير، 5/ 20.

(7) بو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس سنة الولادة / سنة الوفاة 338، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، الناشر : عالم الكتب، سنة النشر : 1409هـ- 1988م، مكان النشر: بيروت: 1/ 199.

(8) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى: 393هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م: 1273/3.

(9) تفسير القرطبي: 6/ 223.

(10) ينظر: الحجة في القراءات السبع الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت الناشر: دار الشروق – بيروت الطبعة: الرابعة، 1401 هـ: ص: 132، بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي: 1/ 401.

(11) تفسير القرطبي 7/ 43.

(12) ينظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، 2/ 459.

(13) ينظر: الحجة في القراءات السبع ص: 145.

(14) تفسير القرطبي 1/ 287.

(15) ينظر: العُدّة في إعراب العُمدَة، بدر الدين أبو محمد عبد الله ابن الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن

فرحون المدني رحمةُ الله عليه، تحقيق: مكتب الهدي لتحقيق التراث أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الإمام البخاري – الدوحة، الطبعة: الأولى، ب ت 224/1.

(16) تفسير القرطبي: 7/ 217.

(17) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م: 12/ 477،

(18) ينظر: البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت الطبعة: 1420 هـ5/ 62.

(19) ينظر: البحر المحيط في التفسير: 5/ 62.

(20) ينظر تفسير القرطبي، 5/ 198.

(21) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري المتوفى: 209هـ، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: 1381 هـ: 128/1، معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ – 1991 م: 1/ 309، 310.

(22) تفسير القرطبي: 5/ 124.

(23) وهي قوله تعالي في الآية السابقة: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ } [النساء: 23]، الآية.

(24) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: 1/ 208.

(25) ينظر: الحجة للقراء السبع، للفارسي: 3/ 150، والمبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر المتوفى: 381هـ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: 1981 م ص: 178.

(26) الحجة للقراء السبعة أبو علي الفارسي: 3/ 150.

(27) القرطبي، التفسير 4/ 287.

(28) ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد محمد محمد سالم محيسن المتوفى: 1422هـ، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م: 2/ 127

(29) تفسير القرطبي 4/ 287، وينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 1/ 491.

(30) ينظر: معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م: 1/ 491.

(31) تفسير القرطبي: 287/4، 288.

(32) المرجع السابق: 8/11.

(33) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، 297/3.

(34) تفسير القرطبي: 305/2.

(35) المرجع السابق.

(36) ينظر: السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي المتوفى:

324هـ، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ ص: 358.

(37) تفسير القرطبي: 9/ 303.

(38) المرجع السابق: 9/ 303.

(39) ينظر: الفراء، معاني القرآن، 2/ 61، معاني القراءات للأزهري: 2/ 57، الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي: 5/ 15.

(40) ينظر: شرح المفصل للزمخشري يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م: 3/ 375، 376.

(41) ينظر: البديع في علم العربية، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى: 606 هـ، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ 1/ 107.

(42) تفسير القرطبي 10/ 351.

(43) ينظر: بحر العلوم السمرقندي: 2/ 334، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى: 468هـ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1994 م 3/ 135، و إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ) قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض) الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1995 م: ص: 207.

(44) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى: 450هـ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان: 3/ 284.

(45) جامع البيان في تأويل القرآن، 17/ 592.

(46) القطع والائتناف، للنحاس ص: 385.

(47) تفسير القرطبي، 160/7.

(48) المحرر الوجيز لابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ 82/1، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، حاشيته على البيضاوي، دار صادر – بيروت، 154/1-155.

(49) البحر المحيط، أبو حيان: 60/1.

(50) المحرر الوجيز لابن عطية: 82/1.

(51) المحرر الوجيز: 82/1، وحاشية الخفاجي على البيضاوي: 154/1-155.

(52) تفسير القرطبي، 160/7.

(53) حاشية الخفاجى على البيضاوي: 154/1-155.

(54) معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م: 22/1.

(55) لكتاب عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988: 2/ 31.

(56) معاني القرآن، للأخفش: 22/1.

(57) المقتضب محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب. - بيروت: 356/3-357.

(58) لأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ) ، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت: 103/2.

(59) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م 200/1.

(60) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي: المكتبة التوفيقية - مصر: 126/1.

(61) تفسير القرطبي: 14/6.

(62) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 130/2.

(63) ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس: 249/1.